الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ١٢ مايو ٢٠٠٤

جرائم فردية أم سقوط مشين لـ«الحضارة» الغربية؟

أحمد السيد النجار

عندما تمتلك أى دولة قوة عسكرية متفوقة، فانه اذا لم يتوفر لها إطار مرجعى من الحكمة والأخلاق فى ادارة هذه القوة، فانها تتحول على الأرجح إلى قوة بلا ضمير، تمارس ارهاب الدولة وتتجاهل القوانين المحلية والدولية بلا رادع، ويكون سلوك جنودها فى ساحات المعارك أو فى البلدان التى تكتوى بنار احتلالهم لها، أقرب لسلوك العصابات الاجرامية، وهذا هو الوضع بالنسبة للولايات المتحدة وجيشها لذى يحتل بلدا عربيا كبيرا هو العراق، فقد صدم هذا الجيش، ضمير كل من لديه ضمير فى العالم بجرائم التعذيب البدنى والجنسى المروعة التى ارتكبها بحق السجناء العراقيين وعمليات الاغتصاب المتكررة، وجميع هذه الأفعال تشكل جرائم حرب كاملة الأركان، بصورة تتسق تماما مع الطبيعة العدوانية وغير الأخلاقية للغزو الاستعمارى الامريكى للعراق واحتلاله، ذلك الاحتلال الذى تتطلب عملية استمراره، درجة عالية من الاستنفار ضد العراق وشعبه، وكل ذلك يشكل تربة ملائمة لسيطرة نزعات عدوانية ومتحللة من أى غطاء أخلاقى أو حضارى على الجنود الذين يقومون بمهمات عدوانية وغير أخلاقية أصلا، خاصة انه لاتوجد عليهم أى رقابة فى ظل سيطرتهم كقوات احتلال على العراق، وفى ظل اصرار الولايات المتحدة على عدم خضوع جنودها لأى محاكمة جنائية دولية اذا ارتكبوا جرائم حرب، وهو أمر يوفر الحماية لمجرمى الحرب الأمريكيين مهما تكن الجرائم أو الانتهاكات التى يرتكبونها فى البلدان الأخرى.

ومن المؤكد أن الجرائم الأمريكية والبريطانية المتعلقة بتعذيب السجناء العراقيين والتى كشف النقاب عنها، لاتشكل سوى جزء صغير للغاية من مجموع جرائم الحرب التى ترتكبها تلك القوات فعليا فى العراق، أو هى قمة جبل الجليد التى تقبع غالبيته الساحقة مستورة تحت المياه، ومن المؤكد ايضا ان هذا النمط من معاملة الأسرى العراقيين هو نمط متكرر لدى قوات الاحتلال الأمريكية - البريطانية فى العراق، ولايمكن ان يتم بدون علم القيادات العسكرية والسياسية فى البلدين، التى لم تحرك ساكنا لمواجهة ذلك إلا بعد ان تكشفت الفضيحة من خلال أجهزة الاعلام، واكتفى الرئيس الامريكى بالشعور بالتقزز وأصر على استبقاء وزير دفاعه رغم مسئوليته الكاملة عن كل جرائم الحرب التى ارتكبها الأمريكيون فى العراق .

ان منطق الاستعباد للأمم الأخرى الذى يسيطر على الادارة الامريكية يجعلها تتساهل مع هذه الجرائم المروعة باعتبارها آلية لترسيخ قيم العبودية لالة الدولة فى داخلهم، مقابل استعبادهم لمن يقع تحت سلطتهم كمخرج للتنفيس عن دور العبيد الذين يقومون به لآلة الدولة التى وصلت فى عدوانيتها تجاه الآخر إلى حد يفوق النظم الفاشية التى هددت الأمن والسلام فى العالم قبل نحو ٦٥ عاما.

ولقد حدثت الازمة فقط عندما تم الكشف عن الجريمة التى لايمكن لاى لأحد ان يورط نفسه فى الدفاع عنها حتى لو كانت من ابتكاره، والحقيقة أن سلوك الجنود الأمريكيين والبريطانيين الذين قاموا بتعذيب العراقيين، متسق تماما مع المهمة التى ذهبوا اليها فى العراق، وهى غزو ذلك البلد العربى الكبير وتحطيم امكاناته الاقتصادية والعسكرية وتمزيق دولته لمصلحة إسرائيل، والسيطرة على ثروته النفطية الهائلة، وتدمير كل من يعترض طريق تحقيق هذه الأهداف سواء كان ينتمى للجيش أو الشعب أو المقاومة الوطنية المسلحة، فليس هناك ما هو أكثر من هذه الأهداف إرهابا ولصوصية.

ورغم أن كشف الحقيقة هو هدف سام لاى عمل صحفى أو اعلامى، إلا أن النشر المكثف لصور جرائم الاحتلال داخل العراق، ربما يستهدف ترويع المقاومة العراقية وتخويف أعداد كبيرة ممن ينضمون إليها من الرجال والنساء من عواقب هذا الانضمام إذا طالتهم يد قوات الاحتلال التى لاتتورع عن ارتكاب مثل تلك الجرائم الهمجية الحقيرة .

وقد جاء رد الفعل الأمريكى على كشف صور تعذيب السجناء العراقيين، مؤكدا لكون هذا التعذيب جزءا من آلية عمل آلة الحرب الأمريكية، فقد نال المجرمون «توبيخا» وياله من عقاب قاس ورادع! وسوف يحظى المجرمون الذين ارتكبوا تلك الجرائم بمحاكمة أمريكية داخلية متساهلة، ولن يتعرضوا لمحاكمة دولية كمجرمى حرب كما ينبغى.

أما مايسمى بـ «مجلس الحكم» الذى وضعته قوات الاحتلال فى بغداد، حاضرة الدنيا زمن العباسيين وكبرى مدائن المشرق العربى وأكثرها أهمية فى عصرنا الحديث، فانه لم يحرك ساكنا، بل ان جلال الطالبانى زعيم حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى، لايرى للموضوع أهمية أصلا، ولم لا وهو الذى شارك الأمريكيين والبريطانيين فى حملتهم الاستعمارية ضد بلاده، قبل أن تحمله قوات الاحتلال إلى مايسمى بـ مجلس الحكم» فى بغداد، وتجدر الاشارة إلى ان القوات الكردية التابعة للطالبانى وللبرزانى قد شارك فى المذابح التى تعرض لها العرب فى الفلوجة، فضلا عن مسئوليتها الكاملة عما يتعرض له العرب من قهر ومذابح فى كركوك وفى بعض مناطق الشمال العراقى الذى أوكلت قوات الاحتلال للميلشيات الكردية مهام رئيسية فى السيطرة عليه.

أما الدول العربية فانها لم تفعل شيئا، يذكر، فبينما أدان البعض تلك العمليات بشكل اعلامى وواصل مسيرة العلاقات والتعاون مع الولايات المتحدة، فان البعض الآخر لم يكلف نفسه حتى عناء الادانة، فى تجسيد حى للهوان والعجز الذى تعانى منه هذه الحكومات التى لايمكنها بهذا الوضع ان تحمى الأوطان والشعوب فى العالم العربى. أما جامعة الدول العربية فانها محكومة بالمواقف السياسية لدولها ولذلك فانها لم تفعل سوى الادانة، وليس لديها فى وضعها الراهن ما تقدمه أكثر من ذلك!

واذا كانت الكثير من الأصوات فى الغرب تتعامل مع الجريمة على أنها جريمة بعض الجنود والقيادات ولاتعكس تحولا فى مواقف الحضارة الغربية من حقوق الانسان غير الغربى، فان تبرئة الحضارة والشعوب الغربية من جريمة الاحتلال الاستعمارى الأمريكى - البريطانى للعراق، ومن الجرائم التى ارتكبتها قوات الدولتين بحق السجناء العراقيين وبحق الشعب العراقى والعرب عموما، تحتاج من الشعوب الأوروبية ومن الشعب الأمريكى إلى وقفة قوية تؤكد بها رفضها لتلك الجرائم ورفضها للقيادات السياسية والعسكرية التى حدثت هذه الجرائم فى ظلها، وقفة قوية تطالب من خلالها بالمحاكمة الجنائية لكل من شارك فى هذه الجرائم باعتبارهم مجرمى حرب، فضلا عن المطالبة بالافراج الفورى عن كل المعتقلين العراقيين واخضاع السجون العراقية للأمم المتحدة والانهاء الفورى للاحتلال الاستعمارى الأمريكى - البريطانى للعراق، اما اذا لم يحدث ذلك فان هذه الجرائم ستكون علامة على طفرة عنصرية وفاشية فى «الحضارة» الغربية، وعندها لايلومن الغرب حكومات وشعوبا إلا نفسه، فرغم الصورة القاتمة للفاشية التى تتسم بها قوات الاحتلال وعملاؤها، فانه يخطئ من يتصور أن تعذيب السجناء العراقيين بطرق همجية وشديدة الانحطاط أخلاقيا، من قبل قوات الاحتلال الاستعمارى الأمريكى - البريطانى - سوف يمر ويطويه النسيان، بل ان هذه الجريمة الارهابية المروعة التى وقعت وأذيعت على الدنيا بأسرها سوف تكون بمثابة معمل أو مرجل من الألم والمرارة والقهر الذى لن يتولد عنه سوى العنف المضاد والرد بالقهر.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية